مدرسة الإسكندرية وتاريخ التعليم الفلسفي

الدكتور عدنان ملحم

قسم الفلسفة

كلية الآداب

جامعة دمشق

مدرسة الإسكندرية وتاريخ التعليم الفلسفي

الدكتور عدنان ملحم

قسم الفلسفة

كلية الآداب

جامعة دمشق

ملخص الدراسة

يركز باحثو اليونانيات الساميات اهتمامهم على مسألة تحديد الفترة الزمنية التي انتقلت فيها العلوم وبخاصة الفلسفة إلى العرب والتي لا تزال غامضة ويجمعون على القول إنها فترة ممتعة في تاريخ البشرية ويقررون الدور الخطير الذي لعبه السريان والكتب الآرامية المترجمة في هذه العملية.

هذا وتؤكد المصادر أن مدرسة الإسكندرية التي وضع الإسكندر مخطط بنائها قد أسهمت في نقل العلوم إلى العرب وأن ما كتب حول ما تركه لنا بعض مؤرخينا وفلاسفتنا يشير إلى الكثير من الأخطاء التاريخية والتحريفات في أسماء الأشخاص والأماكن.

وكانت الترجمة محل اعتبار الناس جميعاً وقد أسهم فيها أطباء وفلكيون ورجال دين وقام أغنياء المسلمين وكبراؤهم إلى جانب الخلفاء بشراء المخطوطات وجراية الأرزاق على المترجمين وتكفلوا بمعاشهم ومعاش أسرهم.

وهكذا كان للعلوم اليونانية طريقان الأول هو الطريق المار من الإسكندرية إلى بغداد وهو طريق الفلسفة الأرسطية والطريق الآخر يمر عبر دمشق والكوفة والبصرة .

وتقف الروايات التي أوردها المؤرخون عن استمرار مدرسة الإسكندرية عند القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي لتنمو الفلسفة على يد الكندي والفارابي وابن سينا والرازي والغزالي في المشرق وعلى يد ابن باجة وابن طفيل لتبلغ الرشد في فلسفة ابن رشد وتموت بموته آملين أن تجد من أبنائها من يؤرخ لها كما فعل الأسلاف .....

مدرسة الإسكندرية وتاريخ التعليم الفلسفي:

يركز باحثو اليونانيات والساميات اهتمامهم على مسألة تحديد الفترة الزمنية التي انتقلت فيها العلوم وبخاصة الفلسفة إلى العرب والتي لاتزال غامضة ويجمعون على القول إنها فترة ممتعة في تاريخ البشرية، ويقدرون الدور الخطير الذي لعبه السريان والكتب الآرامية المترجمة في هذه العملية.

ويمكن أن نعالج الموضوع نفسه اليوم، انطلاقاً مما يبدو لنا أنه كان هدفاً رئيساً لسياسة الاسكندر التي أخضعت العالم في زمن قياسي لم يتجاوز كثيراً العقد الواحد (أي أقل من ١٢ سنة) فقد بسط سلطانه على بلاد اليونان ومصر وليبيا وسورية وفلسطين والعراق وفارس وأفغانستان وعلى قسم عظيم من بلاد الهند ونعني بالهدف الرئيس لسياسة الاسكندر إيجاد جنس بشري جديد ناتج عن مزج الجنس الإغريقي مع الأجناس الأخرى الأسيوية والإفريقية وتحقيق ثقافة جديدة أوراسية (أوربية ــ أسيوية)

فقد أكد المؤرخون أن الاسكندر قد باشر هذه العملية بالفعل منذ استقرار بابل فقد نفذ في يوم واحد عشرة آلاف عملية زواج بين مقدونيين ويونانيين من جهة وفرس وعرب من جهة أخرى، وأنه انفق على تشجيع هذه العملية أكثر من عشرين ألف وزنة ذهب، قدرها هؤلاء الباحثون بما يعادل اليوم مئة وعشرين مليون دولار أمريكي... وذلك مع إشارات تاريخية عديدة تؤكد أن الإسكندر جعل من نفسه ومن

قادته وزعماء جيشه قدوة في عملية المزج هذه، بل إن هذه الإشارات أو الأحداث التاريخية تشير إلى ما هو أبعد من ذلك حين تؤكد وجود عملية نقل لطبقات أو شرائح اجتماعية عريضة بين البلقان والبلدان الأخرى وعليه فإذا صحّ ذلك ولو جزئياً، فإننا نستطيع الجزم بأن هذه السياسة سوف تؤدي إلى تغلغل الآداب اليونانية والفلسفة اليونانية في أعمق أعماق الشرق القديم، وتتلون بلونه بصورة أو بأخرى، وتتيح بالتالي للنفوس والعقول البشرية أن تتفاعل بعمق وتنتج عقلاً جديداً ينتج بدوره نشوء حضارة جديدة مشتركة، وإن كان ذلك يستغرق زمناً لا تشكل فيه حياة الإسكندر وكل فتوحاته أكثر من نقطة البداية، فما إن مات الإسكندر حتى خرج اليونان عن طاعة مقدونيا، وباشروا اضطهاد أساتذة مدرسة أثينا التي أنشأها أرسطو أستاذ الإسكندر فقد حكم الأثينيون على أرسطو بالإعدام ولكنه غادر أثينا لكي لا يتيح لهم تكرار مافعلوه بسقراط فمات في خلقيديا بعد مغادرة أثينا بأشهر قليلة.

ومن الطبيعي في ظروف كهذه أن يبحث المضطهدون عن مستقر جديد يمارسون فيه فلسفتهم ونزوعهم الفكري الجديد، فكانت الإسكندرية التي وضع الإسكندر مخطط بنائها مستقرهم ،كانت أجمل مدينة على البحر الأبيض المتوسط تحتضن تراث مصر القديم كما تحتضن الأديان الشرقية العميقة، واشتهرت إلى جانب الفلسفة بالرياضيات والفلك ومنها كان إقليدس ومنها كان بطليموس، وفيها أسس أولئك المضطهدون مدرستهم الفلسفية التي استمرت في نشر الفلسفة المشائية حتى الفتح العربي للإسكندرية أي ما يزيد على ثمانية قرون أسسها الفيلسوف السوري أمينوس الحّمال (العتّال) ١٧٥ ــ٢٥٠ م مجدد الفلسفة الأفلاطونية(الافلوطينية).

وتؤكد المصادر أن مدرسة الإسكندرية كانت قائمة عندما فتح العرب مصر وتجزم أن هذه المدرسة قد أسهمت في نقل العلوم إلى العرب، وإن كانت هذه المصادر بما فيها أوراق البردي المكتشفة أخيراً، التي كشفت عن الوضع السياسي والاقتصادي والقانوني لمصر في القرن الخامس الميلادي، قد أبقت على غموض التاريخ التعليمي

لهذه الفترة (نهاية العصر الهليني وبداية العصر الإسلامي) وكل ما قدمه الباحثون من معلومات في المجال الثقافي لا تقاس في مجموعها بالمعلومات الدقيقة والمعرفة الواسعة في المجالات الأخرى التي نالوا عليها الجوائز، فهي لا تتعدى وجود إشارات إلى وجود أكاديميات ومدارس في الإسكندرية .

ففي (القرن السادس ميلادية) لاسيما وأن ما كتب حول ما تركه لنا بعض مؤرخينا وفلاسفتنا الذين كانوا في الغالب أطباء وفلكيين أو رياضيين يشير إلى كثير من الأخطاء التاريخية والتحريفات في أسماء الأشخاص والأماكن اليونانية، لان مصادرهم كانت في الغالب عبارة عن تراجم لكتب يونانية نقلها مترجمون سريان إلى السريانية ومنها إلى العربية أو كتب ترجموها هم عن اليونانية مباشرة، من نمط ابن عبد الحكم (٢٥٧هجري ــ ٨٧١ ميلادي) الذي تحدث عن فتح العرب لمصر الذي لا توجد فيه أية إشارة إلى مكتبة الإسكندرية ولا إلى حريق مكتبة الإسكندرية رغم أنه اسبق من كتاب اليعقوبي (أحمد بن يعقوب ٢٧٩ هجرية ــ ٨٩٢ ميلادية) في الجغرافيا المليء بمقتبسات عربية مأخوذة عن اليونانيين وأقدم من //مروج الذهب// للمسعودي(٣٤٥ هجرية ــ ٩٥٦ ميلادية) وكتبه الأخرى القيمة في تاريخ العلوم، والكتب الأخرى التي يستخلص منها المؤرخون نتائج تدل على مصير المدرسة الإسكندرية ومكتبتها، ولاسيما إذا قرأنا بعض الأقوال التي تشير انه من الصعب أن نفترض وجود مثل هذه المكتبة الكبيرة في الإسكندرية بعد القرن الرابع الميلادي*. وأغلب الظن أن الحريق قد حصل (في القرن الثالث الميلادي).

وأن المكتبة المعروفة بالقيصرية قد نهبت سنة ٣٦٦م، بعد أن تحول المعبد التابعة له إلى كنيسة كما تم تدمير مكتبة السيرابيوم سنة ٣٩١م يوم ارتحل معلمو الفلسفة عن

* مقال بالعربية نشرته جريدة الأهرام سنة ١٩٢٤ م حول الحريق الأول لمكتبة الإسكندرية جمعه وكتبه جريفيني وفرلاني وأصبح فيما بعد (كما لاحظنا مصدر لكتابات ايطالية وألمانية وغيرها).

المدينة، ولم يعد من وجود لمكتبة فلسفية في العاصمة المصرية (الإسكندرية) كما يقول برتشيا وذلك لان التعصب الديني قد اشتدت وطأته منذ ذلك الحين وأصبحت الحياة صعبة بالنسبة إلى المعلمين والطلاب الوثنيين، رغم أن أوراق البردي تذكر أسماء متاحف وأكاديميات للدراسة في الإسكندرية وتتحدث عن حياة الطلاب في مدارس الإسكندرية، ولكن من المؤكد أن العرب في سنة ٥٠٠ م كانوا يعرفون امونيوس بن هرمياس رئيس إحدى المدارس المشهورة ويعرفون تلاميذه: سنبلقيوس ورمسقيوس ويحيى النحوي وغيرهم .. ففي النصف الأول من القرن السادس الميلادي كان يحيى النحوي أو يحيى فيلوبولونس الشخصية الكبيرة في المدرسة الإسكندرية على الأقل إن لم يكن رئيسها؟.

كما تذكر المصادر أن الفيلسوف النصراني يوحنا الأفامي قد تخرج من مدرسة الإسكندرية في القرن السادس الميلادي ومعه فلاسفة آخرون منهم الطبيب الفيلسوف سرجيوس الرأس عيني وايتيوس الآمدي كما تذكرأسماء فلاسفة وأطباء في القرن ٧ميلادي ..فضلاً عما تذكره كتب المؤرخين العرب عن الحكماء مثل (الفهرست لابن النديم وكتاب ابن القفطي ....وكتاب ابن أبي أصيبعة) وعن التضييق على دراسة الكتب الفلسفية في الإسكندرية النصرانية غير أن /رينان/ وأمثاله ينبهون إلى أن التراجم السريانية للاورغانون كانت تقف دائماً عند الفصل السابع من التحليلات الأولى، كذلك فعل اليعاقبة مثل جورجيوس أسقف العرب الذي لم يترجم ولم يشرح إلا هذا الجزء ويذكر ابن أبي أصيبعة (ج ٢ص ١٣٠ ومابعد) أن يوحنا بن حيلان كان قد امتنع أولاً عن قراءة كتاب التحليلات الثانية، مع تلميذه المسلم الشغوف بالعلم (يقصد الفارابي) ولكنه رضي بعد ذلك، وتشير المراجع أيضاً إلى أن الفيلسوف الطبيب المشهور محمد بن زكريا الرازي مناصر الفارابي، قد اقتصر تعليمه على ذلك الجزء فقط، بدليل ما يذكره ابن أبي أصيبعة (ج١ ص٣١٥) عن عنوان كتاب للرازي هو

كتاب جمل معاني أنا لوطيفا الأولى إلى تمام القياسات الحملية (وربما كان هذا اقتباساً من كتاب للرازي وليس عنواناً).

ولابد من الإشارة هنا إلى أنَّ الاهتمام كان ينصب في تلك الفترة على تعليم الطب فقد ذكر أبو الفرج بن هندو أستاذه أبو الخير ابن الخمار معلومات متصلة عن حركة تدريس الطب في الإسكندرية وأن جوامع جالينوس كانت تسير جنباً إلى جنب مع جوامع أبقراط في اثني عشر كتاباً، ويذكر ابن القفطي في //كتاب أخبار الحكماء// أن انقيلاؤس الإسكندراني حكيم فاضل، طبائعي، مصري الإقليم اسكندراني المنزل وهو أحد الاسكندرانيين الذين اهتموا بجمع كلام جالينوس وتأليفها على المسألة والجواب ويقول ابن القفطي: وذكر عبيد الله بن جبرائيل بن عبيد الله بن بختيشوع أن اسم يحيى ثامسطيوس: كان قوياً في علم النحو والمنطق والفلسفة (ويذكر ابن أبي أصيبعة روايات وقصصاً طريفة ولطيفة عن يحيى النحوي الاسكندراني وحبه للنظر (التفلسف) كحكاية الملاح وحكاية النملة مما لا مجال لذكرها الآن) .

وفي النصف الأول من(القرن السادس ميلادي) وضع يحيى النحوي شرحه للارسطوطالية وكان تأثيره في العالم المسيحي الذي يتكلم اليونانية والسريانية قوياً نتيجة استخدامه منطق أرسطو في الدفاع عن الدين المسيحي، ويقال: أن النشاط الفكري الذي كان في القرن السابع كان استمراراً للعصر السكندري الذهبي، وكانت الأماكن التي ازدهرت فيها العلوم هي الرها ونصيبين وإنطاكية وآمد (دياربكر) على مايذكر السمعاني وغيره، لقد كانت غالبية المدارس لاهوتية، ولكن كان يسمح في الكثير منها بدراسة: النحو والبيان والفلسفة والطب والموسيقى والرياضيات والفلك، وإن اقتصر التعليم الفلسفي ــ كما ذكرنا ــ على أجزاء من منطق أرسطو وكان أهم موضع عُنِي فيه بتدريس العلوم، مدرسة القديس افثينيوس في قنَّسرين بسورية التي ازدهرت في العصر الإسلامي.

وتذكر المصادر من اليعاقبة الذين عاشوا في القرن السادس: يونان الأفامي وسرجيوس الرأس عيني واصطنان برصد يلة، وأخو دميّة، وفي العصر الإسلامي الأول القرن السابع ميلادي ترد أسماء: سلوانوس القردي وحينانيشوالأول، وشمعون الراهب المعروف بطيبوبة وسويرس سيبوخت ٦٦٧م وتلميذيه اثناسيوي البلذي، وايوب الرهاوي ٧٠٨م وجورجيوس أسقف العرب ٧٢٤ ميلادي في التي تسمى حوران في سوريا وهو تلميذ هذين الأخيرين وشارحاً ومترجماً لأرسطو ومن رجال القرن الثامن ميلادي يذكرون الأساقفة النسطويين مأابا، ويوشع بخت ودنما كشرّاح ومترجميين لمؤلفات أرسطو، ثم طيماثاوس الذي كان مقامه كبيراً لدى الخلفاء العباسيين الذين نقلوا عاصمة الملك إلى بغداد وكانت عنايته بالدراسات الفلسفية كبيرة جداً.

وكانت لأسرة بختيشوع طوال ثلاثة قرون مكانة كبيرة عند الخلفاء منذ أيام الخليفة الثاني المنصور وكان منها معلمو الطب والفلسفة وكان آخر أبنائها المعروفين علي ابن إبراهيم بن بختيشوع (عاش ق٤ هجرية =ق١١ميلادية) وكان مقر هؤلاء الأساتذة في قصور الخلفاء في بغداد أو سرّ من رأى (سامراء)

أنشأ المأمون سنة ٢١٥ هجرية ــ ٨٣٠ ميلادية مدرسة للترجمة سميت /بيت الحكمة/ برئاسة يوحنا بن ماسويه وقام بتجديدها بعد ربع قرن الخليفة المتوكل، برئاسة حنين... ويبدو أن الترجمة في النصف الأول من القرن ٣ هجري ــ ٩ميلادي من اليونانية إلى السريانية في أغلب الأحيان، ونادراً ما كانت إلى العربية مباشرة، ولكنها أصبحت من اليونانية إلى العربية في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري بل وأكثر من ذلك قام المترجمون بتدقيق الترجمات القديمة وإصلاحها، وكانت الترجمة محل اعتبار الناس جميعاً وقد أسهم فيها أطباء وفلكيون ورجال دين، وقام أغنياء المسلمين وكبراؤهم إلى جانب الخلفاء بشراء المخطوطات وجراية الأرزاق على المترجمين وتكفلوا بمعاشهم ومعاش أسرهم وقد اشتهر من هؤلاء الذين أسهموا بدعم

حركة الترجمة أحمد ومحمد ابنا موسى بن شاكر، كما اشتهر من المترجمين عدا حنين بن اسحق، وثابت بن قرة الصابئي الحراني وترجماته إلى العربية تكاد لا تحصى فضلاً عن قيامه بإصلاح ترجمات اسحق بن حنين الفلسفية وتعليقاته على هوامشها ولا تزال حتى الآن، وقسطا بن لوقا وكان نصرانياً من بعلبك في سوريا الذي ترجم كثير من الكتب الطبية والمؤلفات الرياضية والفلسفية وبخاصة كتب فلوطرخس.

ــ ويذكر المؤرخون بين كبار المترجمين الفيلسوف أبا يوسف يعقوب بن اسحق الكندي (٢٥٧ هجرية ــ ٨٧٠ ميلادية) فيلسوف العرب الأول، وكان أول وأشهر عربي مسلم أتقن علوم اليونان إلى درجة تدعو إلى الدهشة، ويذكرون أنه فتح الطريق للعرب إلى علوم الأوائل وله ثلاثمئة كتاب في مختلف العلوم، ولاسيما في الفلسفة الأرسطية والفيثاغورية المحدثة والأفلاطونية المحدثة والآثار العلوية والموسيقى والسياسة والأخلاق... ولكن أثر فلسفته بعد وفاته في قوم العرب كان أقل بكثير من أثرها في الغرب لاسيما في ترجمتها اللاتينية. ويذكر أيضاً بين مشاهير (القرن٣ هجري ــ ٩ ميلادي) الأسقف الفيلسوف موسى بن كيبا الذي لا تزال بعد ترجماته وشروحه لأرسطو باقية حتى الآن.

ــ هكذا كان للعلوم اليونانية طريقان الأول هو الطريق المار من الإسكندرية إلى بغداد وهو طريق الفلسفة الأرسطية وهو الأشهر في الروايات العربية التي سنذكر شيئاً منها. والطريق الآخر هو الطريق الذي يمر بدمشق والكوفة والبصرة

ولعل خير ما نبدأ فيه من الروايات العربية عن //بدء ظهور الفلسفة// رواية الفيلسوف الكبير الفارابي يقول:

وانتقل التعليم بعد ظهور الإسلام من الإسكندرية إلى إنطاكية وبقي فيها زمناً طـويلاً وهي رواية طويلة يذكر فيها من خرج ومعه الكتب، وفلان تعلم من فـلان وأن أبـا نصر نفسه تعلم من يوحنا بن حيلان كتاب البرهان.

وتذكر المصادر أن العرب كانوا يعدون المنطق الحقيقي (أي الفلسفة) هو: المقولات والعبارات والتحليلات الأولى والتحليلات الثانية والطوبيقا والسوفـسطيقا ويـضيفون إليها الخطابة والشعر، وإنهم كانوا يعدون التحليلات الثانية بحثاً في الحـق المطلـق، ويقول الفارابي: لعل ذلك كان سبب خشية الكنيسة من دراسة ذلك الذي كان العـرب يسمونه كتاب البرهان.

قال ابن أبي أصيبعة: وحدثني عمي رشيد الدين أبو حسن علي بن خليفـة رحمـه الله (وكان عمه طبيباً ماهراً من دمشق مات ٦١٦ هجرية ــ ١٢١٩ ميلاديـة) قـال إن الفارابي توفي عند سيف الدولة ابن حمدان في رجـب ٣٣٩ هجريـة وكـان أخـذ الصناعة عن يوحنا بن حيلان ببغداد أيام المقتدر، وكان في زمانه أبو البشر متَّى ابـن يونان ويستمر ابن أبي أصيبعة في سرد روايته فيقول: (قال الشيخ أبو سليمان محمـد ابن طاهر السجستاني، أن يحيى بن عدي أخبره أن متَّى قرأ ايساغوجي على نصراني وقرأ قاطيفورياس وبارمنياس على روبيل، وقرأ كتاب القيـاس علـى أبـي يحيـى المروزي وهنا يذكر ابن أبي أصيبعة كلام صاعد بن أحمد الأندلسي (٤٦٠ هجرية ــ ١٠٦٨ ميلادية) عن دراسة الفارابي.

وهناك رواية أخرى للمسعودي معاصر الفارابي تؤيد كلام صاعد وقد ترجمها كارادي فووهي في غاية الطرافة... ويذكر المسعودي في كتاب //فنون المعارف في الـدهور السوالف //الفلسفة وصدورها والأخبار عن كمية أجزائها وانتقـال المكـان الـرئيس للمعرفة الإنسانية، من أثينا إلى الإسكندرية فـي مـصر فأصـبح التعلـيم بمكـانين: الإسكندرية وروميّه ثم ردّ التعليم من روميّه إلى الإسكندرية، ولأي سبب نُقِل التعلـيم

في أيام عمر بن عبد العزيز من الإسكندرية إلى إنطاكية ثم إلى حران أيام المتوكل وكيف انتهى أيام المعتضد إلى قويري ويوحنا بن حيلان وإبراهيم المروزي ثم إلى محمد بن كرنيب وأبي بشر متى بن يونس الذي يعوّل على شرحه لارسطوطا ليس حتى الآن ثم إلى نصر محمد بن محمد الفارابي وكانت طريقته في الدرس هي طريقة محمد بن زكريا الرازي، ويبدو أن ابن كرنب، الفيلسوف العربي الإسلامي، كان أستاذاً في المنطق حسب رواية ابن أبي أصيبعة.

والملفت أن روايات الفارابي والمسعودي وابن أبي أصيبعة المذكورة كلها تشير إلى أن مدرسة الإسكندرية وجدت حتى بعد الفتح العربي لمصر، وإنها انتقلت إلى الشرق بعد مضي ثمانين سنة على الفتح العربي ــ الإسلامي وإن كانت هذه الروايات لا تقول لنا صراحة لماذا انتقلت المدرسة في خلافة عمر الثاني أي خلافة عمر بن عبد العزيز القصيرة إلى إنطاكية، وإنما تشير إلى بعض الأسباب، كالعزلة التي أصبحت فيها الإسكندرية بعد الفتح العربي، وكالانفصال عن بيزنطة بسبب الحروب البحرية الكثيرة وكزوال أهميتها الثقافية والاقتصادية بعد أن غدت دمشق مركز الخلافة بل مركز الإمبراطورية العربية ــ الإسلامية الجديدة وتناقص أو قلة عدد العلماء والذين يعرفون اليونانية، شلل حركة الترجمة إلى السريانية وما شابه ...من الأسباب التي تجعل من انتقال المدرسة أمراً طبيعياً.

أما الروايات التي تقول إن الخليفة عمر بن عبد العزيز قد اشترك بنفسه في نقل المدرسة، أو أنه كان سبب الانتقال، فلم نجد سنداً أو مصداقية وكل ما وجدناه هو في غاية الأهمية إن خلافته التي لم تستمر إلا سنتين كانت غنية بالإصلاحات السياسية والاقتصادية والدينية، بصرف النظر عن تلك المصادر المعادية التي تنفي وجود أي ميل من الخلفاء إلى العلوم وأنه ليس للمرء أن يتوقع ذلك من أولئك الفاتحين القادمين من الصحراء.

تؤكد الروايات إن المصادر العربية وحتى المصادر السريانية وجود المدرسة في حران، إن الزمن الذي انتقلت فيه مدرسة إنطاكية كان في خلافة المتوكل (أي سنة ٢٣٢ هجرية ٨٤٧ ميلادية إلى ٢٤٧ هجرية–٨٦١ ميلادية) فتكون مدة بقاء المدرسة في إنطاكية ١٢٠ ــ ١٤٠ سنة قبل انتقالها إلى حران.

أما ارتحال الفلاسفة فكان في خلافة المعتضد عم المتوكل (أي سنة ٢٧٩ هجرية ــ ٨٩٢ ميلادية إلى ٢٨٩ هجرية) مما يعني أن الدراسة لم تستمر في حران أكثر من أربعين سنة.

لقد ارتحل كما تؤكد المصادر في (القرن الثالث هجري ــ التاسع ميلادي) أولاً أربعة فلاسفة من حران إلى بغداد وباشروا فيها تدريس الفلسفة، وكانت مدارسهم لها طابع الخصوصية وبعض المصادر تقول إنهم أربعة رؤساء مدارس فلسفية ولم تكن تسمية رئيس مدرسة تسمية رسمية تمنحها الدولة، وإنما كانت تُمنح بإجماع الفلاسفة، ونحن لا نستطيع هنا أن نجزم: هل كانت هناك أربع مدارس فلسفية لكل منها رئيس أم أن الحديث يجري عن أربعة أساتذة برتبة رئيس مدرسة، والفرق شاسع بالنسبة لمسألة التعليم الفلسفي .. لاسيما وان المصادر ذاتها تؤكد وجود مسلمين متزمتين أو متشددين من أصحاب النفوذ في قصور الخلفاء، كانوا يعارضون أو يقفون ضد قيام الدولة بإنشاء مدارس تقوم بتدريس الفلسفة، وكان لهؤلاء المتشددين منذ خلافة المتوكل نفوذ كبير كان يزداد يوماً بعد يوم، وعلى أساس واقعات كهذه جاءت روايات بعض المستشرقين المغرضين لتؤكد على عدم وجود منشآت أو مدارس فلسفية أو أكاديميات علمية عامة أو خاصة في بغداد إبان ذلك الزمن، ونسي هؤلاء أن المتوكل هو الذي أعاد بيت الحكمة الذي أنشأه عمه المأمون.

وحوالي ٣٨٢ هجرية ــ ٩٩٢ ميلادية تم إنشاء الأكاديمية المسماة دار العلم اشتهرت بمكتبتها الضخمة إلا أنها نُهبت وأحرقت سنة٤٤٧ هجرية ــ ١٠٥٥ ميلادية حين استولى جنود طغرل بك على بغداد.

وبعد ذلك تتحدث المصادر عن منشآت التعليم الطبية (البيمارستانات) وعن ثمانية أساتذة للفلسفة تذكرهم كتب التاريخ بصفة رؤساء مدارس كانوا في الوقت نفسه أطباء وفلاسفة مثل المروزي (أبو يحيى) والفارابي (أبو نصر) وكانوا يسمون الواحد منهم تارة باسم //حكيم// وتارة باسم //فيلسوف// أو باسم منطقي، كأبي بشر متى، ويحيى بن عدي، والسجستاني وأغلب الأطباء العرب كانوا متميزين بالعلوم الحكمية مثل:

ــ أبي اسحق إبراهيم القويري الذي كان أستاذاً لأبي بشر متى، وله عدة مؤلفات مثل: تفسير انالوطيقا الأولي وكتاب تفسير قاطيفورياس، وكتاب بارمنيدس وكتاب انالوطيقيا الثانية، وينسب إليه ابن القفطي شرحاً لكتاب ارسطو السوفسطيقا، وكان قد ارتحل إلى بغداد في خلافة المعتضد.

ــ يوحنا بن حيلان الذي كان حسب ابن القفطي وابن أبي أصيبعة، استاذاً للفارابي، وقرأ له كل كتب أرسطو حتى أنالوطيقا الثانية التي كانت قراءتها ممنوعة وتذكر المصادر أنه مات ببغداد في بداية القرن ٤ هجري وأن دراسته كانت ببغداد أو في حران أو فيها.

ــ أبو يحيى زكريا المروزي، هو، حسب الفهرست، الذي شرح انالوطيقا الثانية الذي كان الاشتغال به ممنوعاً على المسيحيين، وكان سريانيا (أي في لغته) وجميع ماله من كتب هو بالسريانية، ويذكر الفهرست أنه كان فاضلاً وأن أبا بشر متى بن يونس قرأ عليه، وكان طبيباً مشهوراً بمدينة السلام وفيلسوفا وما جاء في الفهرست ينقله ابن القفطي وابن أبي أصيبعة كما هو.

ــ أبو أحمد الحسين ابن اسحق بن إبراهيم بن يزيد، ويسميه الفهرست ابــن كرنيــب الكاتب ويعدّ أحد تلميذي الكندي: أحمد بن الطيب السرخسي، وأحمد البلخي (أبي زيد) الجيل الثاني من فلاسفة العرب المسلمين، ويذكره كتاب //التنبيه// كــرئيس لمدرســة بغداد، كما يذكره (بمفرده) الفهرست من المتكلمين والفلاسفة الطبيعيين.

ــ أبو بشر متى بن يونس، تلقى تعليمه شأن معظم العلماء النصارى في مدرسة ملحقة بدير، على يد بعض اليعاقبة، وقد فاق جميع من سبقوه حتى أساتذته، ويقول صــاحب الفهرست عنه //أبو بشر متى بن يونس ــ هو يونان من أهل دير قنى ممن نشأ فــي سكول ماري (هكذا حرفياً)..وله تفسير من السرياني إلى العربي، واليه انتهت رئاســة المنطقيين في عصره، وقد ورد في الفهرست أن من بين الكتب التي ترجمها: كتــاب تفسير الثلاث مقالات الأواخر من تفسير ثامسطيوس للتحليلات الأولى. ويبدو انها لــم تكن قد ترجمت من قبل إلى العربية، وانه نقل كتاب البرهان وكتاب سوفسطيقا وكتاب الكون والفساد بتفسير الأسكندر وكتاب الشعر وكتاب تفسير الإسكندر لكتاب الــسماء الذي أصلحه من بعد أبو زكريا يحيى بن عدي، ويذكر //التنبيه// أن تراجمه هي التي كان يُعوَّل عليها في القرن ٤ هجري ــ ١٠ ميلادي.

أما ما يذكره القفطي فهو: انه في زمانه، أي القرن ٧ هجري ــ ١٣ ميلادي لم يكــن يوجد نقل عربي حسن للكتاب // الحسي والمحسوس// وإنما كان الموجود من ذلك هو عبارة عن تعليقات لأبي بشر متى بن يونس، كما يذكر القفطي أن من كبــار تلاميــذ متى كان أبو سليمان المنطقي السجستاني .

ويقول ابن العبري: أن متَّى كان نسطورياً، وهذا طبيعي أن يكون نسطورياً لأن نشأته وتعليمه الأول كان في دير قنى، وهو دير نسطوري معروف، ولكنه رغم ذلــك درس المنطق على يد راهبين يعقوبيين هما روفيل وبنيامين، ويذكر بن أبي أصيبعة أن متَّى توفي في بغداد في ١١ رمضان ٣٢٨هجرية ــ ٢٢ حزيران ٩٤٠ ميلادية.

ــ أبو نصر محمد بن محمد بن طرحان الفارابي أشهر فلاسفة العرب المسلمين بعد الكندي وقد فاق الكندي في تأثيره في الأجيال التالية وإليه يعزى إدخال منطق أرسطو في علم الكلام وبخاصة علم الكلام المعتزلي، وربما كان هذا سبباً في تسميته /المعلم الثاني/ بعد أرسطو وقد ترك أكثر من مئة مؤلف في مختلف العلوم ورغم انه كان يعرف لغات كثيرة ولم يكن مترجماً، وظلت كتبه تدّرس مئات السنين في مصر واسبانيا، وقد اعتمد ابن سينا كثيراً على كتب أبي نصر وتأثر بها أيما تأثير، وبناء على ما تركه الفارابي صار المسار العام للفلسفة الإسلامية أرسطياً وافلوطينياً

ــ أبو زكريا يحيى بن عدي (٩٧٥م) تلميذ الفارابي ورئيس مناطقة عصره وقد كتب عنه وعن مؤلفاته الكثير، ويبدو أنه كان أول فيلسوف عربي مسيحي {{فقد كان نصرانياً يعقوبياً من تكريت على شاطئ دجلة شمال العراق}}، وفق ما كتبه غراف في كتاب (الفلسفة ونظرية الله عند يحيى بن عدي) (ص٣) وقد كتب عنه أيضاً: أنه قرأ على أبي نصر الفارابي، وعلى أبي بشر متَّى، وأنه كان مترجماً ومؤلفاً غزير الإنتاج بدرجة غير عادية وأنه كان يمتلك مكتبة خاصة ضخمه مفهرسة وان تراجمه من السريانية إلى العربية شملت المقولات، الطوبيقا التحليلات الأولى التحليلات الثانية، والسفسطيقا، والنواميس والشعر لأرسطو، وطيماوس لأفلاطون والآثار العلوية لثاوفراسطس، فضلاً عن شروح للأفروديسي وامونيوس، وإصلاحه الكثير من ترجمات اسحق بن حنين، ويذكر أن ابن النديم، قد خط الكثير من هذه الكتب بخط يده (الفهرست ص٢٤٦).

وأن مؤلفاته الخاصة بالعربية بلغت في الأخلاق والمنطق حوالي خمسين كتاباً، والملفت أن المسعودي يذكر في كتابه //التنبيه// ص ٤٦ وص١٢٠ أن يحيى بن عدي تخرج من مدرسة الفيلسوف الطبيب محمد بن زكريا الرازي، التي قيل عنها أنها كانت مدرسة فيثاغورية محدثة، وأن يحيى اخذ مذهبه الفلسفي عن الرازي هذا وما يؤيد هذه الأقوال ما يذكره أبو سليمان السجستاني المنطقي الذي كان صديقاً وربما

تلميذاً ليحيى وأن يحيى قال عن أستاذه الرازي أنه قال: إن للهند علوم جليلة من علوم الفلسفة التي وصلت إلى اليونان (ابن أبي أصيبعة ج١ ص١٠).

ويقول المسعودي عن الرازي الفيلسوف الطبيب أن الرازي كتب سنة ٣١٠ هجرية أي قبل وفاته بثلاث سنوات كتاباً في الفلسفة الفيثاغورية مؤلف من ثلاث مقالات كتب عنها /دي بور/، أي عما كانت عليه آراء الرازي في الفيثاغورية وردوده عنها، وربما أخذ هذا الاتجاه الفلسفي عن أحد تلاميذ الكندي وأنه من الممكن أن يكون يحيى ابن عدي قرأ مؤلفات الرازي واستقى منها آراءه الفيثاغورية ونقلها إلى تلاميذه شفوياً رغم أن كتبه كلها ذات طابع ارسطي نقي تقريباً وهذا ما يراه أميل برهييه الذي درس كتب يحيى بن عدي بعمق.

وإلى هنا إلى القرن الرابع هجري ــ القرن العاشر ميلادية تقريباً تقف الروايات التي أوردها المؤرخون عن استمرار مدرسة الإسكندرية الفلسفية في العصر الإسلامي لتنمو على يد الكندي والرازي والفارابي وابن سينا والرازي والغزالي في المشرق وعلى يد ابن باجه وابن طفيل لتبلغ الرشد في فلسفة ابن رشد وتموت بموته، آملين أن تجد من أبنائها من يؤرخ لها كما فعل الأسلاف ولا نأمل بأكثر من ذلك في هذا الزمن التعس .....؟

المصادر والمراجع المعتمدة

١ــ **المباحثات** الشرقية فخر الدين الرازي طهران ٩٦٦

٢ــ التعل**ي**قات / الفارابي / حيدر أباد ١٩٤٦

٣ــ **البداية والنهاية** : ابن كثير، بيروت ١٩٦٦

٤ــ **النجوم الزاهرة** تفري بردي القاهرة ١٩٣٠

٥ــ الفكر العربي والثقافة اليونانية الدار البيضاء ١٩٨٥

٦ــ **المقدمة** ابن خلدون بيروت ١٩٦٧

٧ــ **الفهرست** ابن النديم : القاهرة ١٩٦٦

٨ــ **الإيضاح في الخير المحض** /تح/ بدوي القاهرة ١٩٥٥

٩ــ تاريخ الأطباء والفلاسفة : اسحق ابن حنين : القاهرة ١٩٨٥

١٠ــ **تقويم البلدان** : ابن أبو الفداء دار الطباعة السلطانية الجزائر ١٨٤٠م

١١ــ دائرة المعارف الإسلامية: بيروت ١٩٣٣

١٢ــ **شجرات الذهب في أخبار من ذهب**: ابن العماد العكري، القاهرة ١٣٥٠ هجرية

١٣ــ **عيون الأنباء في طبقات الأطباء** : اسحق ابن حنين، القاهرة ١٩٨٧

١٤ــ **فوات الوفيات** : ابن شاكر ١٩٥١

١٥ــ **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** : حاجي خليفة، استانبول ١٣٦٠ هجرية

١٦ــ **كتاب النفس** _ اسحق بن حنين /تح/ الأهواني القاهرة ١٩٥٤

١٧ــ **معجم البلدان** : ياقوت الحموي، بيروت ١٩٥٥

١٨ــ **مبادئ الإلهيات** : /تح/ اندرس، بيروت ١٩٧٣

١٩ــ **مروج الذهب ومعادن الجواهر** : المسعودي، القاهرة ١٩٤٨

٢٠ــ **نظرة جديدة إلى التراث** : محمد عمارة، بيروت ١٩٧٤

٢١ــ **نفح الطيب** : المقري، القاهرة ١٩٤٧